شعر

كأنَّ نسيمَ البوسفور يُداوي أهلَ البوسفور فَقَط

ما لم أستطِع قوله لأحدهم ذاكَ الصباح

احمد زكريا

قد أولَد من جديد

I

كأنّ الشرفةَ في السرداب
وكأنّ الوقتَ سَقَط
كأنّ نسيمَ البوسفور يُداوي
أهلَ البوسفور فقط
كأنّي بغير اللّغة الأمّ
أصيرُ يَتيمَ المعنى؛
أتحدث عن أشياءَ عامّة
وأقارنُ شمسَ بلادي بشموس بلادٍ أخرى
وكأنّ الشمسَ لكلّ الناس ليست واحدة.

II

أحاولُ... وأحاول
أشربُ عشرَ سجائر في عشر سجائر
قنينةٌ.. قنينتين
قد أولَد من جديد هذه المرة
أولد بعيداً عن رأس الحسينِ المزيّف
وشجرة مريم الجرداء...
ابتعدْ عنّي أيّها الرمزُ
سوفَ ألطّخُك بدموعي
وأنت أيّها الحذرُ
سوف أجرّحُك بحكايات
عن جثثٍ تَجرفُها الدّبابَاتُ
مثل القمامة.

III

أيّها الوطن القذر
أخرجْني من رأسك الصفيح
وألقِ بذكراي في النّيل
وأنا أعدُك بأن أنسى طفولتي
ولا أشوّه اسمك المنحوت في ملامحي
عندما أحاول، مثلاً،
أن أقنِعَ بائع البازار بأنني لستُ سائحاً.

لا أحمل جراح غيري

«أحمل جراح كل الحروب التي هربتُ منها»
يقول فرناندو بيسوا
لماذا أشعر أنك تقصدني يا فرناندو الوغد؟
لكنني لم أهرب من الحرب، ولم أختبئ مثلك
في الأسماء المستعارة،
ولا أحمل جراح غيري
يسقيني جُرحي ثم قل لي يا بيسوا
كيف خَرجتَ لي بجملتكَ هذه
على دفتر اليوميات
الذي اشتريتُه من مكتبة صغيرة
في شارع جانبي بإسطنبول
حتى أدوّن ذكرياتي
عن الهرب من الحرب؟

ما لم أستطع قوله لأحدهم ذاكَ الصباح

I

أريدُ أن أمسك بلحظاتِ الضعف
وألقي بها في الهواء..
أريدُ أن أكتبَ ما لم أستطع قوله لأحدهم ذاك
الصباح،
ونحن نتحدثُ عن الجوّ الرائع في مدينةٍ
غريبة
بحديقةٍ في منتصف ميدانٍ عام.
أريد أن أكتب عن خوفي
أن تهتزئ بلادي
مثلما اهتزأ آخرُ قميصٍ اشتراه ناظم حكمت
من بلاده..
أريدُ أن أكتبَ عن أيلول
وعن خوفي من اللون الأصفر
والنهارات السريعة التي تمرّ علينا
ونحن نستمعُ إلى أغانٍ شعبيةٍ
لشعبٍ آخر في مدينةٍ غريبة.

II

وُلدتُ أكثر من مرّة
لكنني في كلّ مرّة كنتُ أولدُ في ابريل
وُلدتُ بجوار النيل والبوسفور
وقلعة صلاح الدين وبرج غلطة
وفي كلّ مرّةٍ
كان يهمس الربيع في أذني ويقولُ:
يُمكن للزمان أن يكونَ هُوّيّةً
ويُمكنُ أن تُصاحبَ شجرةٌ
في مدينةٍ غريبة.
يُمكن أن تُلقي باسمك في الهواء
وأنت تمشي في الطريق من «أيوب سلطان»
حتى «بلاط»
ثم تجلس في «إدرنة قابي»
وتُسندَ ظهرك إلى سور القسطنطينيةِ
القديم
وتسأل نفسك:
ماذا كنتَ ستفعل لو لم يعبر جيشُ السلطانِ
من هذه البوابة؟

III

في «بلاط»
لا تضيّعْ وقتك في البحث عن اسمٍ جديد
يُمكنك أن تُصاحبَ شغفك بالبيوت
الخشبية
وأن تفكّر في الحكايات
ربما خلف تلك الشبابيك القديمة
كانت تجلس امرأةٌ أرمنيةٌ
تشربُ النبيذ، وتدوّنُ بشجاعة ليست لك
حياتها الشخصية داخل الحكاية.

هل تحبّ الفولكلور؟

كان يفكر مثلك تماماً
ويتحدث بالثقة نفسها
وحين ينام
يرى نساءً يتساقطنَ
من البنايات مثل الجراد
ورجالاً يلعبون الأوراق على أرواحهم
وأطفالاً لم يسمعوا بالفاجعة بعد
ويواصلون لعبة العريس والعروس
سألتُه:
هل قرأت عن الفولكلور من قبل؟
فأشار بإصبعه الوسطى في الهواء،
وانصرف عنّي.
كان يفكر مثلك تماماً
ويتحدث بالثقة نفسها
وحين يكتب الشعر
يرى ظلّه طفلاً في الشوارع التي يحاول
نسيانها، وتطارده كالهُوّية
ينادي:
«خذني معك
إلى حزيران خذني معك
إذا ذهبتَ إلى الجنوب
أو نضجتْ كثمرة تِينٍ في إحدى هضاب
الأناضول
خذني معك
وإن ضَيّعتَ أجمل الأيام
في استكشاف رائحة التوابل في البازارات
خذني معك».
كان يفكر مثلك تماماً، ويتحدث بالثقة
نفسها
حتى رآه يطعن ظلّه في منتصف الطريق
ويختبئ بإحدى الدبكات في ديار بكر
سألتُه:
هل تحبّ الفولكلور؟
فخلع قميصه الملطخ بالدم، ولوّح به في
الهواء!

شواهد منسية

ليتك شاهدتَ ديسمبر في أوسكدار معي
يا أبي:
إننا ننتظر الشمس،
ونحن نحرق الوقت بالشّاي والسجائر
نرشّ الحمام بالقمح،
ونطيل النظر إلى قباب الجوامع
نعني "في الطريق إلى أوسكدار وجدتُ
منديلاً"،
واجدٌ فيه رائحتك يا أبي..
نتسكّع بين القبور القديمة
نبحث عن أسماء أجدادنا
الذين أخذوا إلى الحرب،
ولم يعد منهم غير الأغنيات.
أتريد أن أصف لك أوسكدار يا أبي؟
تاريخٌ مهزومٌ يتمشى على الساحل
وبائعاتُ وردٍ
كُنّ عاشقات ولم يُحالفهنّ الحظ
وشواهدُ منسيّة
كُتبت بلغةٍ مغدورة.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

من البوسفور (إيهان التون/ Getty)

بطاقة

شاعر ومترجم مصري، من مواليد القاهرة عام 1984 ومقيم في إسطنبول. ترجم نصوصاً لعشرات الشعراء الأتراك، وصدرت له عدة كتب مترجمة عن التركية. بالاشتراك مع ملاك جينيز اوزدمير، من بينها «ثلاث سنوات ونصف» لأورهان كمال (المتوسط، 2020)، و«عجز إسطنبول» لـ عثمان جمال قايغلي (صرايا، 2020)، و«أيام السلطان عبد الحميد الاخيرة»، لناهد سِرّي اوريك (الاهلية، 2021).

إطلالة

دفاتر المواصفات والشروط

روائي أم باحث؟

عمل لـ فاطمة مير (1976)

لا يستطيع الناقد في الغرب، أن يرى الروائي العربي فناناً أولاً، بل هو مشروع باحث اجتماعي، أو معارض لوى عنق السياسة ودسها في الادب

ممدوح عزام

قد يكون موقف بعض النقّاد في الغرب من الرواية العربية شبيها بموقف بعض السياسيين هناك من الثورات العربية، فالسياسيون هناك لا يعترفون بالثورات العربية أو لا يسمونها ثورات، بسبب عدم مطابقتها لدفاتر المواصفات والشروط التاريخية أو الأيديولوجية، ويعتبرونها مجرّد هبّات خاوية يقودها هواة (ولعل ما ذكره أوباما عن صنّاع الثورة السورية واضح الدلالة على مثل هذا الموقف).
لا يستطيع الناقد في الغرب وفي الشرق أيضاً، أن يرى الروائي العربي فناناً أولاً، أو لا يصدق ذلك، بل هو مشروع باحث اجتماعي، أو معارض لوى عنق السياسة ودسها في الصياغة الأدبية. والرواية في هذه الحالة ليست سوى عينة من بحوث علم الاجتماع، أو مشاريع الرد على مخططات الاستعمار.
وكل أو معظم ما ينشغل به النقد في الغرب هو دور الكاتب وموقعه في الصراع السياسي والاجتماعي في بلاده، ولا بأس أن يكون قد شارك أيضاً في نقد المؤسسة الدينية. وهناك من يضع انتماء الروائي العربي الديني أو الطائفي، وخاصة إذا كان منتمياً بالولادة إلى إحدى «الأقلّيات»، في رأس أولويات التعريف به. على الرغم من أن هذا الروائي قد يكون علمانياً، أو ماركسياً، أو لا متديناً، بينما لا يهتم النقد الأدبي في الغرب مثلا برأي الفاتيكان في روايات ساراماغو، ويقيم أعماله استناداً إلى نظرية الرواية أولا، لا إلى رأي البابا.
لم أقرأ بعد في أي مرجع نقدي غربي، أو روسي، وسوفييتي من قبل، أي نقد عن الرواية العربية ينشغل بتقنياتها، أو بما يمكن أن تكون قد أضافته إلى هذا الفن العظيم في العالم. إذ تعتبر الرواية العربية دائماً صدى، ردة فعل، تعبيراً مضاداً، لا فناً مستقلا قادرا على أن يكون قائما بذاته.

هل هو نوع من التعالي والعجرفة الثقافية تتغلغل في لاوعي الناقد؟

لا ننكر أن هموم الكتابة لدى الروائيين في العالم المستعمَر تختلف من حيث الموضوعات والانشغالات عن موضوعات الكتاب والروائيين في البلدان التي شهدت استقرارا اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وروحيا، لا أظن أن روائياً من بريطانيا، أو فرنسا، أو الولايات المتحدة، لديه هموم مثل هموم روائي من مصر أو سورية أو العراق أو ليبيا. ففي حين لم يعد الخبز مشكلة روائية في تلك البلدان، فإن الأهم من ذلك أن الحريات عامة لم تعد هي المطلب الرئيسي بعد أن تحقق جزء كبير منها.
وبالقدر ذاته من الحماسة يدخل الروائي في بلداننا معركة التغيير الاجتماعي والسياسي والقيمي في الدولة والمجتمع، وهو ما يعقّد مهامه في المسائل ذات الطابع الفني أو التقني. ففي حين تبدو قضايا السياسة مباشرة وخطرة أحياناً، فإن وضعها في النص يتطلب مهارات فنية تمنع الإخلال بجوهر الفن.
أين الخلل؟ هل هو في طبيعة الاستقبال الثقافي؟ هل تسير الثقافة في العالم في خط موازٍ لخط السياسة؟ وهل هو نوع من التعالي والعجرفة الثقافية تتغلغل في لاوعي الناقد تجاه الثقافات التي استعارت نوعاً أدبياً يعتبره خاصاً به؟ ثمة كثير من الاحتمالات في هذا الشأن، خاصة أن تلك الثقافات لا تستطيع أن تتخذ مثل هذا الموقف مع الشعر العربي.

(روائي من سورية)

لقاء

رسول محمد رسول في البحث عن نموذج فكريّ راديكالي

حاجة عراقية لإدوارد سعيد

مثقّف جذريّ، صادق مع قضيته. هذه هي الصفة التي يُطلقها الباحث العراقي على إدوارد سعيد، الذي أصدر حوله كتاباً جديداً. هنا وقفة معه

بغداد ـ العربي الجديد

قبل أيّام، صدر للباحث العراقي رسول محمد رسول كتاب «إدوارد سعيد: المثقّف الراديكالي»، عن «دار الرافدين». عملٌ يسعى فيه رسول إلى تقديم سيرةٍ للمفكّر الفلسطيني الراحل (1935 - 2003)، باعتباره مثقّفاً شكّلت الممارسة النقدية محوراً أساسياً في تجربته. ينظر المؤلّف إلى صاحب «الاستشراق» باعتباره «ناقداً جذرياً» و«مثقّفاً صادقاً مع قضيّته». عملٌ ينطلق من تجربة سعيد ليُلقي نظرةً على الاشتغالات النقدية وأنواعها، وعلى علاقة المثقّف بواقعه.
هنا وقفةٌ لـ«العربي الجديد» مع الباحث العراقي.

■ كتابك الأخير حول إدوارد سعيد حمل عنواناً ثانوياً هو «المثقف الراديكالي». ما المعاني التي تحملها هذه الصفة؟

ما فعله إدوارد سعيد هو دفاعٌ حقّ، وليس خدعة. سعيد لا يخدع أحداً؛ إنه مثقّفٌ صادق مع قضيّته، وهو بهذا المعنى مثقّف راديكالي. ولا بدّ لنا، في العراق، من اعتباره أنموذجاً للمثقّفين. الحاجة إلى قراءته والاطّلاع على نموذجه باتت ضرورةً بعد ما جرى في البلاد منذ سنة 2003 من احتلال أميركي وأزماتٍ سياسية.

■ كيف تصف أهمّية سعيد بالنسبة إلى الثقافة العراقية؟ وما الذي يمكن أن يقوله للعراق اليوم؟

أريد أن أسأل في البداية: هل قرأ العراقيون إدوارد سعيد؟ لا أعتقد أنهم قرأوه قراءةً يستحقّها. ربما اطّلعوا على نقده للاستشراق، لكنهم لم يقرأوه كناقد جذري، كناقد لأحوال العالم، لتجربة المنفى وللرواية. هذا النقص هو الذي حاولتُ سدّه في كتابي. تحضر الحاجة إلى قراءة إدوارد سعيد في سياق الأزمة التي يعاني منها العراق اليوم، في ظلّ وجود سياسيين يعملون لصالح المشروع الإيراني - الذي يريد تحويل العراق الى ضيعة فارسية - ويتاجرون بالعراق. لكي نقارع ذلك، لا بدّ من رؤية ومنهج جذري يضعان المحتلّ الفارسي، ومَن سار على نهجه داخل العراق، على مسطرة الرفض الجذري الراديكالي. تلك هي مهمة كلّ المثقّفين العراقيين حالياً. ويمكن لإدوارد سعيد أن يُعطي نموذجاً عن هذه المهمّة، باعتباره مثقّفاً جذرياً في التعامل مع قضيّته الفلسطينية العربية وكذلك الإنسانية.

■ كيف قرأ إدوارد سعيد الاحتلال الأميركي للعراق ومرحلة ما بعد الاحتلال؟

الاحتلال، أيّ احتلال، هو أمرٌ مرفوض تماماً، وهذا ما ذهب إليه إدوارد سعيد بصدد الاحتلال الأميركي للعراق. وكان بالتأكيد ليفعل الأمر ذاته في ما يخصّ الاحتلال الإيراني.

■ ما الذي يحتاجه العراق ليملك مفكّرين مثل إدوارد سعيد، يدافعون ضدّ الخراب الذي أصاب البلد من الاحتلال الأميركي قبل كل شيء، ويلفت انتباه الثقافة العالمية إلى مظلوميّته؟

نحتاج إلى مثقّفين يملكون رؤيةً واضحة، يقولون «لا» بوضوح، كما فعل سعيد؛ إلى مثقّفين يقولون «لا» لكلّ النماذج التي أحالت العراق إلى خرابة وإمارات إيرانية.
فمَن يعيد هذه المدن العربية إلى نسَقها العربي العراقي؟ وحدهم المثقّفون الراديكاليون، بشتّى أشكالهم، يستطيعون ذلك.

الحاجة إلى قراءة سعيد باتت ضرورة بعد ما عرفه العراق من احتلال

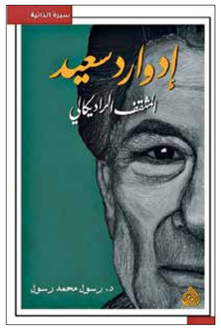

رسول محمد رسول

إدوارد سعيد في رسمٍ على واجهة محلّ في سان فرانسيسكو

فعاليات

تنطلق اليوم، وتستمر حتى نهاية يوليو/ تموز المقبل، الدورة السادسة عشرة من **المهرجان الدولي للسينما الوثائقية ـ شاشات الواقع**، بتنظيم من **سينما ميتروبوليس** و**المعهد الفرنسي** في لبنان. يضمّ البرنامج **بانوراما من الأفلام العربية والعالمية**، وتُقدّم العروض في أماكن مثل بيروت وصيدا.

ضمن برنامج **أسبوع الفيلم الفلسطيني**، يعرض **مركز خليل السكاكيني الثقافي**، في رام الله، بدءاً من السادسة من مساء بعد غدٍ الاحد، **فيلم سارة** للمخرج **خليل المزيّن**. يحكي الشريط قصّة موالّف يعجز عن إنهاء نصّ يسرد فيه حكاية فتاة غزّاوية تُدعى سارة، قضت ضحيّةً لإحدى جرائم «الشرف»، فيستعين الكاتب بصديقٍ له يعمل مخرجاً، من أجل إخراجه من أزمته.

عند السادسة من مساء الاحد والاثنين المقبلَين، يقيم **متحف فرويد** في لندن سلسلة محاضرات تُلقيها الباحثة **ماري وايلد**، بعنوان **إسقاطات: أفلام التحليل النفسي الأنطولوجي**. تطبّق وايلد مبادئ من منهج التحليل على أفلام تعالج موضوعات وجودية و تجارب فكرية تكسر حدود ما هو ممكن في العالم.

تستضيف **ساقية الصاوي في القاهرة**، عند الثامنة من مساء الثلاثاء، 22 يونيو/ حزيران، حفلاً موسيقياً لعازف العود **مايكل انسي**، الذي اطلق اخيراً مشروعاً بعنوان **حالة عود**، وقدّم مقطوعاتٍ منه على مسارح في القاهرة والإسكندرية. سبق لانسي أن عزف الى جانب فنانين وعازفي عود، مثل **نصير شمة**.